ابنُ بَطُوطة

سَارٍ يَدِبُّ عَلَى عَصَا تَرْحَالِهِ ... مُتَقَلِّبُ الأطْوَارِ فِي تَجْوَالِهِ
ركبَ العُبَابَ وَتَاهَ فِي ظُلَمَائِهِ ... مُتَحَدِياً مَا اشْتَدَّ مِنْ أهْوَالِهِ
أسْرَىٰ بِمَرْكَبِهِ يُعَانِقُ مَوْجَهُ ... وَكَأنّهُ فِي البَحْرِ مِنْ أبْطَالِهِ !
فِي رِحْلَةٍ أسْطُورَة قَدَ صَاغَهَا ... فِي مَهْدِهِ مِنْ مُبدَعَاتِ خَيَالِهِ
يَسْتَقْبِلُ المَجْهُولَ وَهُوَ مُغَامِرٌ ... لاَشَيْءَ يُسْعِفُهُ سِوَى آمَالِهِ
وَكَأنَّمَا قَدْ ضَاقَ عَنْهُ فَضَاؤُهُ ... وَرَأى - كَضِيقَ السِجْنِ - ضِيقَ مَجَالِهِ
فَتَسَلّقَ الآفَاقَ كَالنَّسْرِ الذِي ... يَنْأَىٰ بَعِيداً عَنْ وُكُورِ جِبَالِهِ !
لَمْ يُمْسِكِ المجدَافَ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ ... شَدُّ الحِبَالِ يُعَدُّ مِنْ أعْمَالِهِ !
مَا رَاعَهُ فِي الكَوْنِ شَيْءٌ رَائِعٌ ... كَالبَحْرِ بَيْنَ جَمَالِهِ وَجَلاَلِهِ !
الشّمْسُ تَسْبَحُ فِي عَوَالِي مَوْجِهِ ... وَتُعَانقُ الأنْسَامَ فِي آصَالِهِ
وَالبَدْرُ يَنْسُجُ مِن سَنَاهُ غَلائِلاَ ... رَفَّافَةً مُتَوَهِجٌ بِكَمَالِهِ !
وَاللّيْلُ غُولٌ فِي دُجَاهُ مُزَمْجِرٌ ... لاَ أمْنَ لِلرُبَّانِ فِي إقْبَالِهِ
كَمْ حَامَ بُومُ المَوْتِ فَوْقَ شِرَاعِهِ ... وَأُصِيبَ بِالإغْمَاء مِن أرْجَالِهِ
قَدْ كَانَ - قَبْل الزَّاد - أحْضَرَ كَفنَه ... وَابْتَاعَه بِالحُرِ مِنْ أمْوَالِهِ !

* *

يَمْشَي الهُوِينَىٰ فِي المُحِيط بِمَرْكَبٍ ... أعْيَاهُ مَا يَطْوِيهِ مِنْ أمْيَالِهِ !
كَمْ وَاجَهَ الإعْصَارَ وَاقْتَحَمَ الدُّجَىٰ ... مُتَخَبِطاً فِي لَيْلِهِ وَضَلاَلِهِ !
خَلَّىٰ هَوَاهُ وَأهْلَهُ فِي طَنْجَةٍ ... وَسَلاَ النَّعِيمَ بِهَا وَحُسْنَ ظَلاَلِهِ
وَمَضَى بِهِ المَلاَّحُ نَحْوَ مَفَاوِز ... لَمْ يَغْشَهَا مَنْ عَاشَ مِن أجْيَالِهِ

كَالْكَوْكَبِ السيَّارِ فِي أبْرَاجِهِ ... يَسْرِي وَلاَ يَدْرَي مَحَطَّ رِحَالِهِ !

مَا كَانَ أروَعَ مَا رأىٰ فِي رِحْلَةٍ ... أَلْهَى بِهَا التّارِيخَ عَنْ رُحَّالِهِ !

كَمْ بَاتَ يَفْتَرِشُ التُّرَابَ عَلَى الطَّوَىٰ ... وَيَسَامِرُ الأغْرَابَ مِنْ أمْثَالِهِ !

تَرَكَ الوَثِيرَ مِنَ الفِرَاشِ وَمَا حَلاَ ... مِنْ طِيبِ مَأكَلِهِ وَعَذب زُلاَلِهِ

لِيَرَىٰ مُلُوكَ الهِنْدِ فِي أفْيَالِهِم ... وَيُحَاطَ بِالإجْلاَلِ مِن أقْيَالِهِ !

وَيَرَىٰ عَوَالِمَ مِثْلَهَا لَمْ يَنْتَظِم ... يَوْماً وَلَمْ يُنْسَجَ عَلَى مِنْوَالِهِ !

لاَتَسْأَلُوا التّارِيخَ عَنْهُ فَإنَّهُ ... مَنْ خَطَّ أحْرُفَهُ عَلَى تِمْثَالِهِ !

يَاحُسْنَ يَوْمٍ عَادَ فِيهِ كَأنَّهُ ... لَيْثٌ يَعُودُ إلَى حِمَىٰ أدْغَالِهِ !

نَثَرُوا الزُّهُورَ عَلَيْهِ إكْرَاماً لَهُ ... كَمُقَاتِلٍ قَدْ عَادَ بَعْدَ قِتَالِهِ !

سَتَظَلُّ ذِكْرَى ابْنِ البَطُوطَةِ مَعْلَماً ... مُتَوَهِجاً يَدْعُو إلَى إجْلاَلِهِ

وَيَظَلُّ مَجْداً فِي صَحَائِفِ مَغْرِبِي ... مُتَأَلِقَ الأحْدَاثِ مِثْلَ هِلاَلِهِ

يَزْهُو الجَنُوبُ بِهِ وَيُثْلِجُ صَدْرَهُ ... مَجْدٌ تَأَلّقَ فِي رُبُوعِ شِمَالِهِ !